

عمارة الرومانيسك في فرنسا

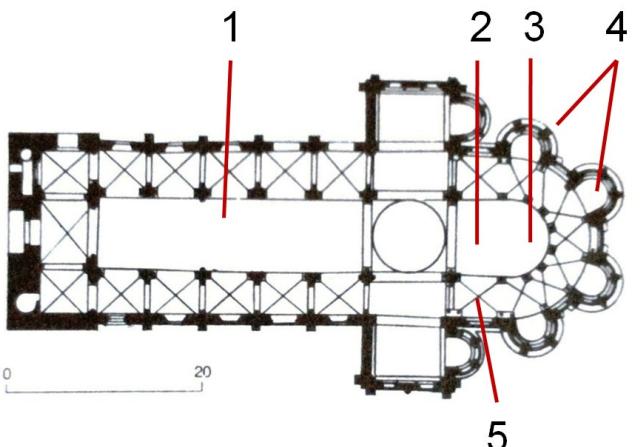
Romanesque Architecture in France

ارتبطة عمارة الرومانيسك في فرنسا بعمارة هذه الفترة في ألمانيا واشتركت معها بكثير من الخصائص وتأثرت بها. إذ ركزت بشكل أساسي على بناء الكنائس والأديرة واستخدمت نفس العناصر المعمارية في ذلك بالاعتماد على المبدأ التجميعي additive principle في العمارة. وكان انقسام فرنسا إلى مقاطعات في هذه الفترة واختلاف المعطيات الطبيعية سبباً في اختلاف العمارة بين منطقة وأخرى.

1. كنائس طريق الحج وميزاتها

ظهرت في فرنسا تطورات ترتبط بازدياد أهمية الحج لدى المسيحيين بشكل كبير خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين. وكانت للحج وجهتان رئستان هما كنيسة القيامة في القدس Church of the Holy Sepulcher in Jerusalem وكنيسة القديس بطرس في روما St. Peter in Rome ويضاف إليها كنيسة القديس يعقوب في سانتياغو دي كومبوستيلا وSt. James in Santiago de Compostela، التي تقع في شمال غرب إسبانيا. رافق ذلك ازدياد في أهمية القديسين والعناية بقبورهم وأثارهم وزياراتهما، مما أدى إلى نشوء عدد كبير من الكنائس والأديرة وتطويرها خاصة في فرنسا، التي تجذبها طرق الحج باتجاهات عديدة وخاصة باتجاه كومبوستيلا وفق ما يعرف بطريق يعقوب.

أدى ذلك إلى ظهور ما يعرف بـ**كنائس طريق الحج** Pilgrimage road churches، التي تم تطويرها للتلاءم مع عدد الزوار الكبير. فبقي المجاز المركزي nave مخصصاً للمصلين وفراغ المرتلين choir مخصصاً للكهنة والرهبان، ولكن كان لا بد من إضافة فراغات تسمح للحجاج بالوصول إلى الهياكل الصغيرة التي تضم رفاة القديسين وأثارهم relics، والتي تقع عادة في محيط محراب الكنيسة، وذلك دون إعاقة الفعاليات الخاصة بالقداديس والتراتيل. فتم ابتكار عناصر ترتبط بمحراب الكنيسة من جهة الشرق مثل المحراب المتدرج Benedectine choir والرواق المحيط بالمحراب ambulatory وما يلحق به من هيكل مستقلة chapels على شكل إكليل radiating choir.



1. المجاز المركزي Nave للمصلين
2. فراغ المرتلين Choir للكهنة والرهبان
3. المحراب Apse في جهة الشرق
4. هياكل صغيرة Relics تضم الـ Chapels
5. تقع حول المحراب على شكل إكليل Radiating Choir
6. طرق لمواكب الحجاج على شكل رواق محيط Ambulatory بالمحراب

مكونات كنائس طريق الحج في فرنسا واحتياجاتها

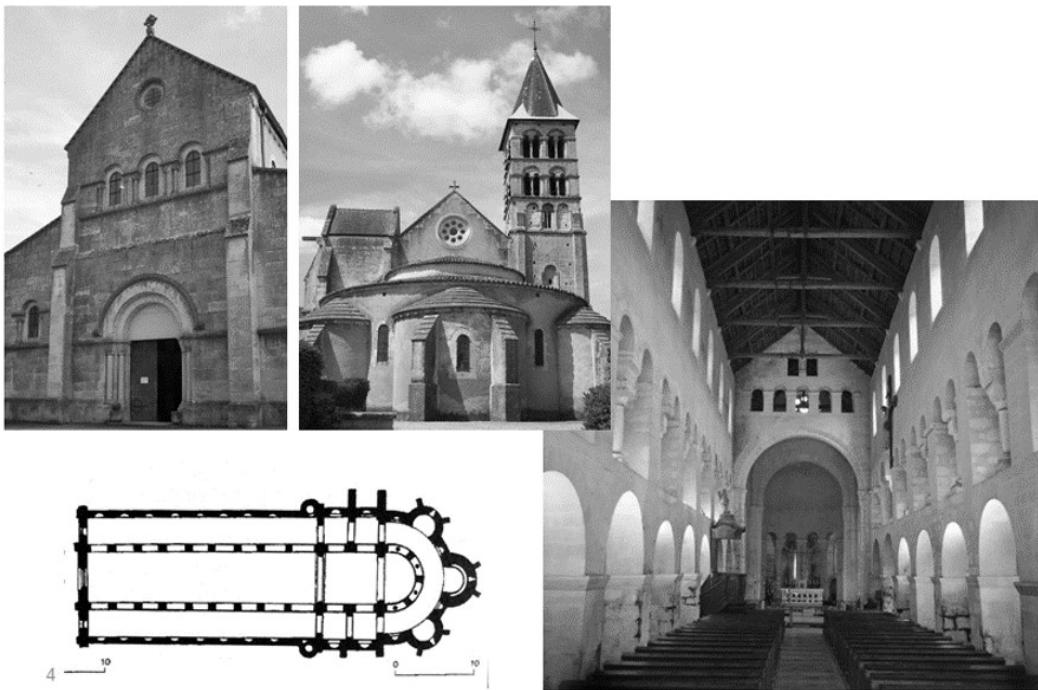
نلاحظ في الكنائس الفرنسية استخدام بنية البازيليكا مع المجاز المترعرع transept المزود هنا بالهيكل الصغيرة أحياناً إضافة إلى وجود رواق علوي gallery فوق المجازين الجانبيين. كما تأثرت الكنائس بفكرة الكتلة الغربية westwork التي بدأت بالظهور في ألمانيا وتم تحويلها هنا إلى واجهة ذات برجين بينما المدخل الرئيس للكنيسة وفق ما يعرف بـ twin tower .façade

أما فيما يتعلق بالبنية الإنسانية فنجد في فرنسا نفس التطور الذي رأيناه في ألمانيا من حيث الانتقال من الأسفف الخشبية إلى الأسفف الحجرية المبنية على شكل قبوات مختلفة vaults. ويعتقد أن انتقال هذه التأثيرات كانت يتم من خلال ورش البناء الذين كانوا يتنقلون من مكان إلى آخر في القرون الوسطى وينقلون معهم أفكار وتقنيات البناء.

1.1. كنيسة القديسة إيتين في فينيوري - St. Etienne Church, Vignory

أنشئت كنيسة القديسة إيتين في فينيوري الواقعة في منطقة الشامباني في فرنسا منتصف القرن 11م وهي إحدى الكنائس الواقعة على طريق الحج.

الكنيسة ذات بنية بازيليكية مكونة من مجاز مركزي nave يحفي به مجازان جانبيان aisles مفصولان عنه برواق من الدعامات والأقواس نصف الدائرية ويزيد ارتفاع الرواق بصف علوي تتناوب فيه الدعامات والأعمدة. للكنيسة أسقف خشبية جملونية ظاهرة من الداخل. تتعكس بنية الكنيسة على واجهة الغربية البسيطة من الخارج مع بوابة مركبة يعلوها قوس نصف دائري متدرج مع أعمدة على الجانبين.

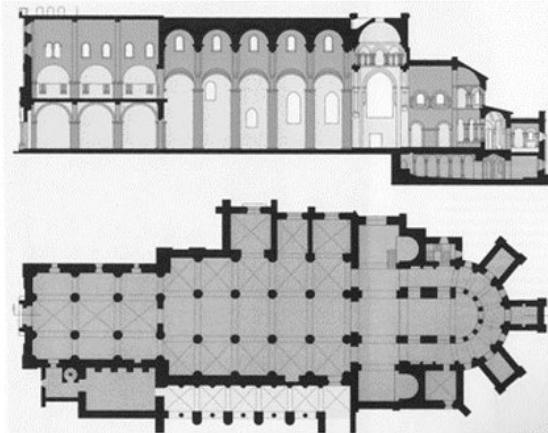


كنيسة القديسة إيلين في فينيوري: المجاز المركزي - واجهة شرقية وغربية - مسقط

أما من جهة الشرق فيمتد المجاز المركزي ليشكل فراغ المرتلين choir المرتبط بمحراب الكنيسة apse وكون الكنيسة مخصصة للحجاج أضيف رواق محيط بالمحراب من الخارج ambulatory حتى لا يتم عرقلة القدس والتراتيل. يلحق بهذا الرواق ثلاثة هيكل مستقلة chapels على شكل محاريب إضافية تشكل إكليلاً من الهياكل. هذه البناء تظهر بوضوح في الواجهة الشرقية.

2.1. كنيسة القديس فيليب في تورنوس - St. Philibert Church, Tournus

الكنيسة الموجودة حالياً تكون من جهة الغرب من كتلة ضخمة تعتبر تطويراً لـ westwork (تعود إلى حوالي عام 1019 م) تضم بهو دخول ضخم في الطابق الأرضي. وتعلوه كنيسة أمامية مرتفعة تتكون أيضاً من ثلاثة مجازات. هذه البناء لا تتعكس على الواجهة الخارجية الحجرية. وهي تعد أقدم مثال على واجهة غربية مكونة من برجين وبينهما بوابة مركبة twin tower façade. البرج الجنوبي لا زال على حالته الأولى وهو لا يرتفع كثيراً عن جسم الكنيسة، بينما تمت زيادة ارتفاع البرج الشمالي. تشكيل الواجهة تم بالاعتماد على دعامات جدارية شاقولية قليلة البروز lesene تربط بينها أفقياً أفاريز ذات أقواس نصف دائرة round arch frieze ولكن التقسيمات ليست متجانسة ومتراقبة مع المناسيب والطوابق المختلفة الموجودة خلفها في الداخل.



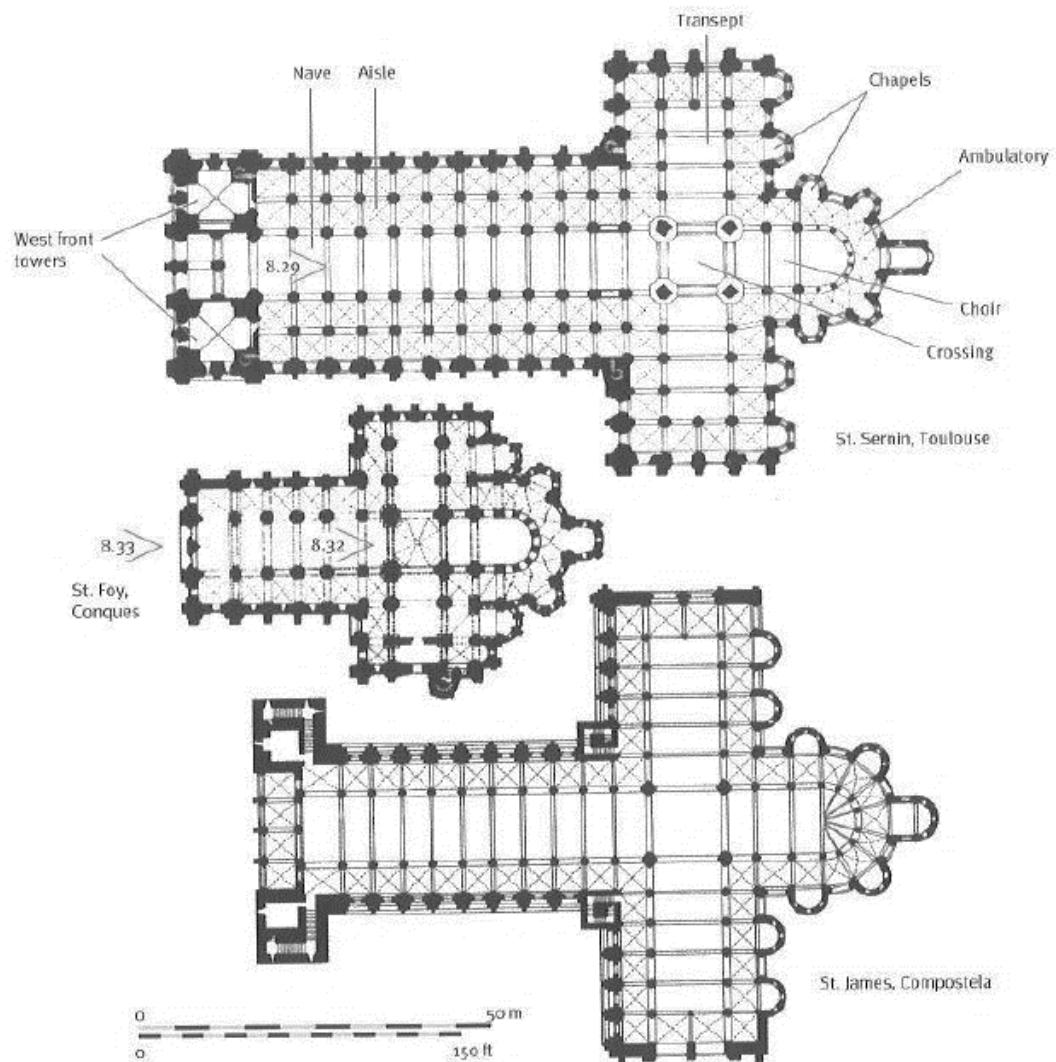
كنيسة القديس فيليبير في تورنوس: واجهة شرقية - مقطع طولي - مسقط - واجهة غربية

الكنيسة ذات مسقط بازيلكالي مكون من مجاز مرکزي ومجازين جانبين تفصل بينها سلسلة من الدعامات الدائرية الضخمة. نجد المجازات الجانبية مسقوفة بقبوّات متصلبة groin vaults والتي تمت محاولة تنفيذها في المجاز المركزي أيضا ولكن بدلاً من ذلك تم بناء خمس قبوّات أسطوانية معرضة transverse barrel vaults تستند إلى أقواس معرضة تنقل الحمولات إلى الدعامات الجانبية. سمح ذلك بفتح نوافذ كبيرة clerestory windows في جوانب هذه القبوّات منحت الكنيسة إضاءة علوية مميزة.

يلي ذلك في جهة الشرق مجاز معترض مع محاريب جانبية ولكن التطور الآخر البارز في هذا المبنى هو أن فراغ المرتلين choir والمحراب apse المرتبط به شرقاً محاطان برواق نصف دائري ambulatory وظيفته السماح بحركة الزوار من الحجاج دون عرقلة أو مقاطعة القدس والترايل. يلحق بهذا الرواق ثلاثة هيكل مستقلة chapels مستطيلة الشكل تبرز نحو الخارج بشكل شعاعي تعد أول مثال على ظهور إكلييل من الهياكل الصغيرة radiating chapels.

2. تطور كنائس طريق الحج

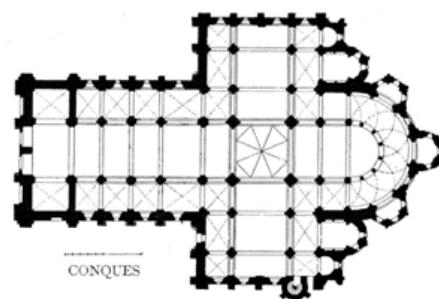
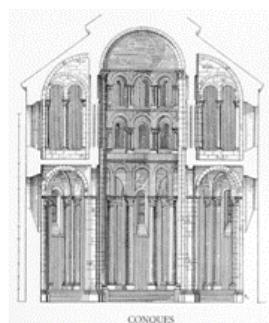
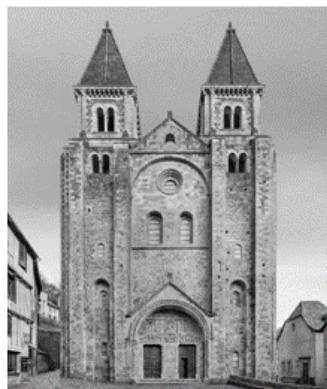
تتكرر الأفكار السابقة وتزداد صخامة في كنائس أخرى واقعة على طريق الحج مع الوقت. حيث استمر تطوير كنائس الحج بإضافة أروقة gallery في الطابق العلوي من المجازين الجانبيين المسوغوفين بالقبوat groin vaults، وكانت تستخدم أحياناً لإيواء الحجاج. وتوجد كنائس كثيرة تتماثل إلى حد بعيد من حيث حل المسقط وطريقة الإنشاء والتسقيف ومن حيث الحلول المتبعة في الجهة الشرقية من الكنيسة منها: كنيسة سانت فوي في كونك Abbey St. Foy – Conques وكنيسة سانت سيرنين في تولوز St. Sernin - Toulouse وكاتدرائية القديس يعقوب في سانتياغو دي كومبوستيلا Santiago Cathedral - Santiago de Compostela التي تقع في نهاية طريق الحج في إسبانيا. حيث تمتاز جميعها بمحاذ مركري ذو قبة أسطوانية barrel vault مع أقواس ممعترضة ومحاذ معرض مكون من ثلاثة محاذات (مسقط على شكل صليب لاتيني) مع هيكل جانبية، إضافة إلى رواق محيط ambulatory مع إكلييل من الهياكل الصغيرة radiating chapels.



كما يظهر في هذه الكنائس أيضاً تطور من حيث التشكيل الغني للجدران والأروقة من حيث تقسيم الجدران بواسطة أنصاف أعمدة والدعامات. وإبراز بعض العناصر المعمارية بشكل متزايد من خلال العناصر النحتية، كما في تيجان الأعمدة وفي تشكيل البوابات، بينما بقيت الجدران والقبوّات المختلفة سطوهاً تغطى بالرسومات الجدارية. الهدف من المنحوّات والرسومات هو نشر تعاليم الدين المسيحي بين العامة من الناس حيث كان يتم تجسيد مبادئ دينية منتشرة في القرون الوسطى.

1.2. كنيسة سانت فوي في كونك - Abbey St. Foy, Conques

بنيت الكنيسة التي كانت تابعة لدير في بلدة كونك مكان كنيسة سابقة ما بين عام 1041 ونهاية القرن 12 م.



كنيسة سانت فوي في كونك: المجاز المركزي - واجهة غربية - مسقط - مقطع عرضي - واجهة شرقية

الكنيسة ذات مسقط بازيلي يتكدر أيضاً في المجاز المعرض مما يجعل المسقط على شكل صليب لاتيني مع كون المجازات الجانبية جميعها ذات طابقين gallery. المجاز المركزي مسقوف بقبوّة أسطوانية مستمرة barrel vault ولكنها مجذأة بواسطة أقواس معرضة transverse arches تربطها مع الدعامات الحاملة في الأسفل. أما المجازات الجانبية فهي مسقوفة في الطابق الأرضي بقبوّات متصلبة groin vaults وفي الطابق العلوي بنصف قبوّة أسطوانية تساعد على تلقي القوى الأفقية من القبوّة المركزية. الدعامات الشاقولية الحاملة للقبوّات مقطوعها مربع يحيط بها من جوانبها الأربع دعامتاً

جدارية بارزة أو أنصاف أعمدة تساعد على الانتقال إلى الأقواس نصف الدائرية. الأقواس مرتفعة ومفتوحة في الطابق الأرضي، تقابلها في الطابق العلوي gallery أقواس أقل ارتفاعاً تقسّم بواسطة قوسين نصف دائريين محمولين على أعمدة صغيرة. يتكرر ذلك في المجاز المترعرع ويقوم فوق نقطة التقاء برج crossing tower (يعود بشكله الحالي لراحل لاحقة).

تتميز الجهة الشرقية من الكنيسة، التي تلي المجاز المترعرع، بكون فراغ المرتدين والمحراب المرتبط به محاطاً برواق نصف دائري ambulatory يلحق به ثلاثة هيكلات مستقلة chapels ذات مسقط نصف دائري تبرز نحو الخارج على شكل إكليل من الهياكل الصغيرة radiating chapels. يكملها هيكلان صغيران على كل من طرفي المجاز المترعرع. يظهر هذا التشكيل من الخارج بشكل متدرج وفق المبدأ التجمعي additive principle.

أما في الجهة الغربية فتقوم واجهة حجرية مكونة من برجين مربعين مدعمين بدعامات حجرية بارزة تزيد من ظهورهما. تظهر بينماها ثلاثة ملائكة للسقف الجملوني. المدخل محوري مكون من بوابتين مستطيلتين يربط بينهما قوس مرتفع وجهة مثلثة.

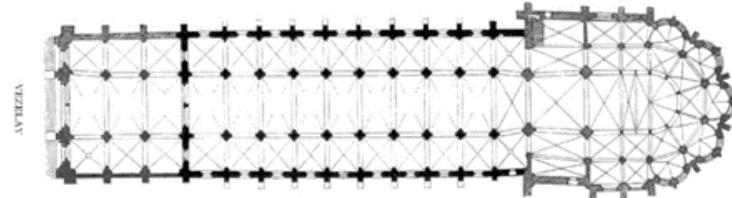
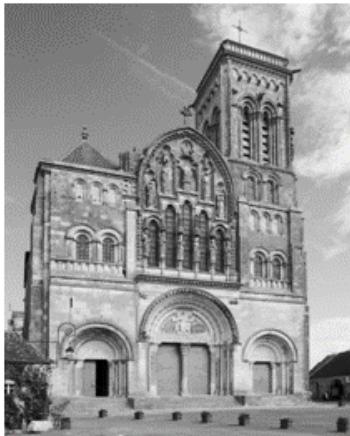
3. التطور الإنساني لكنائس الرومانيسك في فرنسا في القرن 12 م

يستمر تطور الكنائس وخاصة من الناحية الإنسانية ويتجسد ذلك في بناء كنائس مسقوفة بالكامل بالقبوat المتصالبة groin vaults، كما في أشهر كنيسة من كنائس الرومانيسك في فرنسا في القرن 12 م وهي كنيسة مريم المجدلية في مدينة فيزيلاي.

1.3. كنيسة مريم المجدلية في فيزيلاي - St. Marie-Madelaine, Vézelay

بنيت هذه الكنيسة الواقعة في منطقة البورجوندي ما بين 1120-1140 م. ويبدو أن تطور تقنيات البناء ساعد في هذه الفترة على بناء كنيسة مسقوفة بالكامل بالقبوat المتصالبة groin vaults. وذلك من خلال تنظيم المسقط بحيث تقابل كل قبوة في المجاز المركزي - مسقطها مستطيل - قبوة واحدة في المجاز الجانبي - مسقطها مربع. تفصل بين القبوات أقواس مفترضة transverse arches ترتبط من خلال أنصاف أعمدة بالدعامات الحاملة.

القسم الغربي من المبنى مع بهو الدخول والكنيسة الأمامية والأبراج لم يكتمل إلا في عام 1152-1140 م. ساعدت هذه الكنيسة الأمامية في الحفاظ على المنحوتات الهاامة التي تعلو البوابة الغربية للكنيسة tympanon، التي تمثل إرسال روح القدس إلى الحواريين أو الرسل ويتم ضمن المساحات المحيطة المؤطرة التعبير عن شعوب العالم، التي يجب أن تصلها تعاليم الدين. وفي الحلقات الدائرية يوجد تجسيد للأبراج السماوية. كما تشتهر الكنيسة بـ التيجان المنحوتة المميزة ذات المواضيع المختلفة، منها تاج في المجاز المركزي يعرف بتاج الطاحونة الغامضة mystic mill capital.



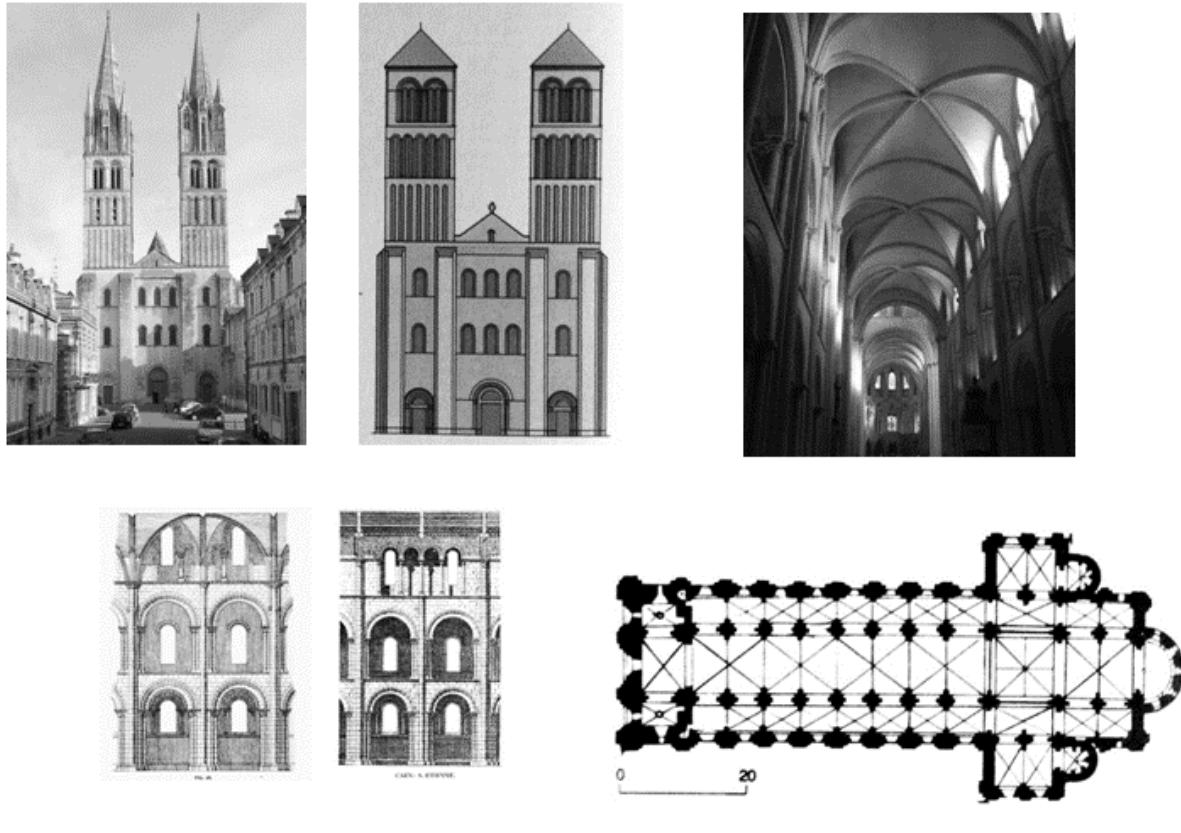
كنيسة مريم المجدلية في فيزيلاي: المجاز المركزي - البوابة الغربية - واجهة غربية - مسقط - تاج الطاحونة العاًمضة

2.3. كنيسة القديسة ايتين في سيان - St. Etienne Church, Cean

تعد كنيسة سان ايتين في سيان St. Etienne – Cean، التي تم الانتهاء من بنائها حوالي 1060 م أو 1090 م من الكنائس التي تعطي فكرة مهمة عن تطور الواجهات الغربية ذات البرجين في منطقة النورماندي شمال فرنسا.

الواجهة مقسمة إلى عدة أجزاء تبدأ بقاعدة في الأسفل تضم ثلاثة بوابات ذات أقواس نصف دائرة. يعلوها صفان من النوافذ ذات الأقواس نصف الدائرية. تفصل بين المناسب المختلفة كورنيشات أفقية تقطعها الدعامات البارزة للأبراج، تعطي الواجهة تقسيما شاقوليا مسيطرًا. يبدأ البرجان مع بداية الجهة المثلثة للسقف الجملوني. البرجان مكونان من ثلاثة طبقات بحيث يزداد عدد الفتحات أو نسبة افتتاحها كلما انتقلنا إلى الأعلى. يطلق على هذا النوع من الواجهات

.twin-tower-façade مصطلح



كنيسة القديسة ايتين في سيان: المجاز المركزي - الواجهة الغربية (إعادة تصوّر)

الواجهة الغربية (الوضع الراهن) - مسقط - تغيير المجاز المركزي نتيجة استخدام القبوات

لعبت هذه الكنيسة دوراً هاماً في تطور بناء القبوات واستخدام القبوات المضلعة إذ تعد أول مثال عليها في فرنسا. وفي 1120-1125م تم استبدال السقف الخشبي للمجاز المركزي بقبوّات مضلعة ribbed vaults مقسمة إلى ستة أقسام. بحيث تقابل القبة الواحدة في المركز قبوتين في المجازات الجانبية، وهي تعتبر مرحلة انتقالية نحو بداية العمارة الغوتية وقد أثرت بشكل كبير على عمارة الرومانيسك في إنكلترا.